

مصير الشيخ محفوظ

كان الشيخ محفوظ هو تقريبا المرجع الديني ، والصندوق الاجتماعي لجميع أهل الحارة والمحارات المجاورة . يزوره البعض للحصول على فتوى ، والبعض الآخر للاستلام نصيبهم من عائد الزكاة والصدقات التي تصل إليه من أهل الخير ، والبعض الثالث لأخذ البركة منه ، طمعا في الترقى أو عدم الإقالة من المنصب . والواقع أن مظهر الرجل كان يدل على صلاحه وتقواه ، كما أن كفه الطرية التي كانوا يقبلونها كانت توحى بأنها من أيدي المشايخ الواصلين .

كان الشيخ قليل الكلام ، لكنه واسع العلاقات . فكان يزوره بعض المسؤولين ، وأحيانا بعض الضباط ، بل إن بعض الأجانب كانوا يأتون إليه ومعهم مترجم فيتحدث إليهم بتمكن . وفي أثناء كل هذه المقابلات لم يكن أحد من أهل الحارة يقترب منه ، بل كانوا يتركونه لزواره قائلين لأنفسهم : إنهم من أصحاب الحاجات التي يقضيها لهم الشيخ ببركته .

و ذات يوم ، فوجئ أهل الحارة بخبر زواج الشيخ محفوظ . ممن ؟ من سيدة في الأربعين ، وعلى قدر كبير من الجمال ، توفى عنها زوجها مؤخرًا ، وترك لها ولدين . ورغم تزاحم كبار تجار الحارة على زواجها فقد فضلت عليهم الشيخ الذي كانت تثق في طبيته ، وحسن مراعاته لله في ولديها الصغيرين ، ولأنها كانت تتوق للذهاب إلى الحج معه . وقد اقتنع أهل الحارة بهذه الحجج وقالوا : وما المانع في أن يتزوج الشيخ من هذه السيدة الفاضلة على سنة الله ورسوله ؟!

لكنهم ما لبثوا بعد مرور عام واحد فقط ، حتى تدخل الشيخ في محاولة فض نزاع بين شابين متزوجين حديثًا ، وعندما أصرت الزوجة المشابة على الانفصال تم الطلاق ، ثم راحت تتردد عليه ، وانتهى الأمر بزواجه منها !

تعجب محبو الشيخ من هذا الزواج مع فارق السن الكبير . فالبنت لما تزيد عن العشرين عامًا ، بينما هو في الخامسة والمستين . أما الزوجة الكبرى فقد غضبت جدا ، لكنه راح يسترضيها ويقنعها بأن من حق الرجل أن يتزوج حتى أربع نساء . هذا مذكور في القرآن ، ومباح في الإسلام .

لكن الزوجة الصغيرة ، وبعد أن تمكن حبها في قلبه ، راحت تلح عليه وتطالبه بتطبيق زوجته الكبيرة ، وتوفير المصاريف التي ينفقها على ولديها . أصبح الشيخ مضغوطا بمطالبها ومتطلباتها . ولم يمض وقت طويل حتى طلق الأولى وتفرغ تماما للثانية ، التي ازدادت رغباتها وتنوعت كثيرا  
يذهبها معا إلى المصيف ، وهو الذي لم يذهب إليه طوال عمره !

استلقى الشيخ محفوظ على البلاج تحت الشمسية ، وراح يتابع زوجته المشابة ، وهى تندفع فى عمق البحر بخفة ورشاقة ، وقد المتف حولها بعض الشبان من السباحين المهرة : يسابقها هذا ، ويحدثها هذا ، وهى فى غاية السعادة . وعندما خرجت من الماء ، جاءت إليه وهى تلف جسدها بفوطة كبيرة وقالت له :

— والله لو نزلت البحر قليلا .. لأصبحت أكثر نشاطا !

أجابها بصوت متهدج :

— تعلمين أنى لا أعرف السباحة ، ويكفى أن أراك وأنت تعومين .